

الكتاب الثالث: " جدلية الجنون والإبداع " (1) (الحلقة الثانية)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2019/09/14

السنة الثانية عشرة - العدد: 4396

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

ثم ننتقل إلى الجنون لنجده
أيضا يقف متحديا في بؤرة
إشكالية الحرية

هو من ناحية: يعلن القدرة
على الاختلاف على حساب أي
مكسب، وباقتحام أي مجهول،
فهو بذلك أحد مظاهر الحرية
في قصوى قدراتها الاقتحامية.

من ناحية أخرى: هو انسحاب
كامل من كل المقومات
الضرورية لاختبار حقيقة الحرية
في مواجهة الآخر/ والواقع

هو من ناحية ثالثة: استسلام
للداخل القابع في الظلام
حادثة، بما يؤدي إلى نفي
الحرية، لتركنا في مواجهة
الوجود الخاوي إلا من التناثر
المختلط المَرَجَج في المحل

بالجنون ينتصر التمرد، ويفسح
المجال لصوته كي يسمع" ثم
تعقب: هذا ما يقوله...."
(أنسى الحاج)

إن المجنون يخترق كل حاجز،
ويعيش كل تجاوز، ويقفز فوق
أسوار اللغة بلا لغة، وهو
يلعب بالزمن، لا يتبعه، ولا يقع
فيه، لكنه في نفس الوقت هو
ينتهي إلى هلامية ساكنة

.....

.....

الحرية والجنون (2)

ثم ننتقل إلى الجنون لنجده أيضا يقف متحديا في بؤرة إشكالية الحرية (3) فهو من ناحية: يعلن القدرة على الاختلاف على حساب أي مكسب، وباقتحام أي مجهول، فهو بذلك أحد مظاهر الحرية في قصوى قدراتها الاقتحامية.

ومن ناحية أخرى: هو انسحاب كامل من كل المقومات الضرورية لاختبار حقيقة الحرية في مواجهة الآخر/ والواقع.

وهو من ناحية ثالثة: استسلام للداخل القابع في الظلام عادة، بما يؤدي إلى نفي الحرية، لتركنا في مواجهة الوجود الخاوي إلا من التناثر المختلط المَرَجَج في المحل.

تقتطف خالدة سعيد (4) قول أنسى الحاج " بالجنون ينتصر التمرد، ويفسح المجال لصوته كي يسمع" ثم تعقب: هذا ما يقوله...."الجنون هو الوصمة التي يحملها من اختار أن يكون حرا".

وعلى الرغم من أن خالدة سعيد قد وصفت الخلق عند أنسى الحاج أنه "لاغائي"، وأن كلمة خلق لا تتناسب شعره، وعلى الرغم مما ذهبت إليه حينما يقترب من نفي الإرادة عن هذا النوع من الخلق "ما يسمى: عادة بالخلق ما هو عند أنسى الحاج إلا فعل ضروري لوقف الاختناق" رغم كل ذلك فإن الاختيار سرعان ما قفز متحديا من أنسى إذ يقول: "والشعر قهر مشدود التواجد يخنقه الحنين"...."إن أمام هذه المحاولة إمكانييتين إما الاختناق أو الجنون"

وهكذا، وقعنا بكل وضوح في بؤرة إشكالية الإبداع والحرية

بإيجاز يمكن إعادة الصياغة بألفاظ أخرى تقول:

"إن المجنون يخترق كل حاجز، ويعيش كل تجاوز، ويقفز فوق أسوار اللغة بلا لغة، وهو يلعب بالزمن، لا يتبعه، ولا يقع فيه، لكنه في نفس الوقت هو ينتهي إلى هلامية ساكنة، حتى لو ترجرت في مكانها، وكأنها تتحرك. إن المجنون الحر الطليق هو في واقعه دائر في محله في انغلاق دوائري متناثر، فلا هو حر ولا هو طليق.

هكذا ينفي الجنون، الذي يبدو لأول وهله وكأنه الحرية الكاملة، ينفي الحرية تماما وهو يجتثها من جذورها. مع أن الحرية في جوهر حركيتها تبدو حتمية وهي تسمح باختيار الجنون، ففُجأ في نفس الوقت

أن الجنون هو فى النهاية مقصلة الحرية“.

الجنون هو فعل الحرية لتستحيل.

إذا كان الجنون اختياراً فى مستوى معين من الوجود، فإنه ليس اختياراً للحرية وإنما هو نفسه الحرية القاضية على نفسها، وهذه المأساة هى من أعظم إشكالات الجنون فهما، وعلاجاً.

فى الجنون: الحرية تنتحر اختياراً.

المجنون يختار أن يحرم نفسه من قدرته على الاختيار.

هذا على الرغم من أن الشخص العادى عادة ما يستبعد، بل يستتكر فكرة أن يكون الجنون اختياراً على أى مستوى من الوعى، الشخص العادى لا يملك (بوعيه الظاهر) أن يختار الجنون، الإنسان العادى (جدا) يبدو وكأنه لا يستطيع (أعجز من) أن يُجن.

ومع ذلك فالممارسة اليومية تُعلّمنا كيف أن المجنون - بجنونه- إنما يعلن أن له طريقاً آخر، وأنه استطاع على الرغم من كل شئ أن يرفض السائد الآمن، وأن يتحدى، ليسلك -منفرداً- الصعب المجهول "ثم يفشل".

آن لنا أن نتوقف هنا عند كلمات مثل "استطاع"، ومثل "يرفض"، ومثل "العادى"، لضرورة التروى وتجنب الاختزال إلى الشائع.

السماح بالجنون (حق الجنون) (5)

لكى يجن إنسان ما (لكى يستطيع أن يجن) لا بد أن يُسمح له (بشكل ما) بذلك. لا بد من وجود مساحة متاحة للحركة (فى الداخل والخارج على حد سواء) تسمح بأن يمارس فيها الإنسان اختلافه لدرجة اختيار هذا النقيض الشاذ المتحدى (= الجنون). إن هذه المساحة (مع السماح الضمنى فى الخارج والداخل) هى التى تتفرع فيها الاختيارات المتعددة بما فى ذلك اختيار الجنون. ولتوضيح ذلك، فإنه على سبيل الافتراض (المستحيل): لو أن القمع الخارجى كان مطلقاً (مائة فى المائة) والقمع الداخلى كذلك (مائة فى المائة) فإن الجنون يستحيل، لأنه لم يعد ثَمَّ سبيل لأى اختيار بين بدائل (6)، ولا لأى حركة فى أى اتجاه، بما فى ذلك اتجاه الجنون.

عن طبيعة الجنون والاختيار

إن فهم مسألة اختيار الجنون تحتاج إلى التسليم بأساسين:

الأول: تعدد الذوات، فى الشخص الواحد، ومن ثم يكون اختيار أى ذات منها على حدة هو نوع من الحرية، حتى ولو بدا على حساب الذات (الذوات) الأخرى. فى الجنون؛ يكون الاختيار الغالب هو فعل الذات الكامنة دون الظاهرة فى لحظة بذاتها، ثم تقتم الذات الكامنة (البداية عادة) لتتقود، فيكون الجنون هو: محصلة غلبة اقتحام من قبل إحدى الذوات بالداخل الكامن جنباً إلى جنب مع آثار هزيمة الذات الظاهرة عياناً.

الثانى: إن اختيار الجنون لا يظهر بشكله المباشر والمعترف به، إلا بعد بداية الجنون نفسه، بمعنى: إن اكتشاف أن الأمر كان اختياراً سابقاً، على مستوى آخر أخفى، ثم أعلن الجنون لاحقاً بوعى ظاهر. إن ذلك لا يعنى أن الذى يختار الجنون هو تنظيم واحد فقط من بين المنظومات المتعددة للدماغ وللغرد (من بين الذوات المتعددة)، لأن الجنون حين يُعلن، إنما يؤكد محصلة اختيار الذوات (المنظومات) المتعارضة والمتصارعة والهشة والمهمشة والمستعيدة بدائيتها والناكسة، وبالتالي فإن الذى يُجن هو الكل المتداخل فى واحد ظاهر، وهو هو الكيان الذى له إسم علم يُنادى به، وهو الذى يوصف بالجنون. وعلى الرغم من أن بداية الاختيار تكون بترجيح غلبة ومحاولة قيادة أحد التنظيمات البدائية على حساب التنظيم الواقعى

ينفخى الجنون، الذى يبدو لأول وهله وكأنه الحرية الكاملة، ينفخى الحرية تماماً وهو يجتثها من جذورها.

أن الحرية هى جوهر حركيتها تبدو حتمية وهى تسمع باختيار الجنون، فتُهاجأ فى نفس الوقت أن الجنون هو فى النهاية مقصلة الحرية

الجنون هو فعل الحرية لتستحيل

كان الجنون اختياراً فى مستوى معين من الوجود، فإنه ليس اختياراً للحرية وإنما هو نفسه الحرية القاضية على نفسها

أن الشخص العادى عادة ما يستبعد، بل يستتكر فكرة أن يكون الجنون اختياراً على أى مستوى من الوعى

الممارسة اليومية تُعلّمنا كيف أن المجنون - بجنونه- إنما يعلن أن له طريقاً آخر، وأنه استطاع على الرغم من كل شئ أن يرفض السائد الآمن، وأن يتحدى، ليسلك -منفرداً- الصعب المجهول "ثم يفشل".

لكى يجن إنسان ما (لكى يستطيع أن يجن) لا بد أن يُسمح له (بشكل ما) بذلك. لا بد من وجود مساحة متاحة للحركة (فى الداخل والخارج على حد سواء)

لو أن القمع الخارجى كان مطلقاً (مائة فى المائة) والقمع الداخلى كذلك (مائة فى المائة) فإن الجنون يستحيل، لأنه لم يعد ثَمَّ سبيل لأى اختيار بين بدائل

الناضح، لكن الذى يحضر - مجنوناً - فى الوعى الظاهر - كما أشرنا - هو:

جماع آثار تنشيط هذا المستوى البدائى من الوعى. جنبا إلى جنب مع:

مظاهر مقاومة مستوى الوعى الظاهر القائم لهذا النشاط المقترح. بالإضافة إلى:

آثار (بقايا) معاركهما (المستوى البدائى الذى طغى، والمستوى الواقعى الظاهر المهزوم)

إن المجنون الذى يقر باختيار جنونه أثناء العلاج النفسى المكثف (مثلاً)، لا يفعل ذلك إلا بعد أن يطمئن لقدرة جنونه على التحدى، وفى مرحلة لاحقة: إلا وهو مطمئن إلى معالجِهِ الذى يقبل، أو على الأقل يناقش اختياره. المجنون يقر لنفسه بطريقة غامضة اختيار ما هو به، وذلك بعد تمكن الجنون من الحلول فى الوعى الظاهر، ولكنه لا يعلن هذا الإقرار إلا بعد استشعاره الأمان من معالج قادر على الحوار مع مستوياته المتعددة. الجنون حين يكسر القشرة ليظل من الداخل إذ يقتحم الوعى الظاهر يجعل الداخل خارجاً أو جزءاً من الخارج، وهنا يمكن إعلان إدراك أن الأمر "كان اختياراً"، وهذا ما يسمى "سبق التوقيت" لبداية الجنون، وهذا بمثابة الاعتراف باختيار سابق، أو هو تأكيد اختيار ما سبق اختياره.

"إن الجنون هو حصيلة اختيار كان كامناً ثم أمكنه إعلان نفسه باختراق هادفٍ شاطحٍ معاً"

وبعد:

أعلم أنها مقدمة طالت، لكنها بدت لى ضرورة حتى يتضح المدخل الذى تتناولته هذه الدراسة من خلال التناقض الهائل الذى يمثله الجنون من حيث أنه يمثل حرية تُحَقَّق اختياراً جزئياً ليصبح مسئولاً عن شلل الإرادة الكلية للذات المشتملة، ثم كيف أن هذا وذاك يرتبط أشد الارتباط بعملية الإبداع من حيث أن الإبداع مخاطرة تمر برعب اختراق نفس هذه المنطقة من الحرية (منطقة حرية الجنون) لينطلق بها وعبره إلى تشكيلات الإبداع.

سوامى

[1] - هذا هو الكتاب الثالث باسم "عن الحرية

والجنون والإبداع" نشرت صورته الأولى فى مجلة فصول - المجلد السادس - العدد الرابع 1986 ص (58/30) وقد تم تحديثها دون مساس بجوهرها، وهو الفصل الثالث من كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع" الصادر من المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، والكتاب يوجد فى طبعته الأولى 2007 وهذه هى الطبعة الثانية بعد أن قُسم إلى أربع كتب أضيف إليها ما جدّ للكاتب بين الطبعتين، وهذا الكتاب هو الثالث.

[2] - نبهنا فى الكتاب الأول والثانى على ضرورة

تحديد مضمون لفظ الجنون كما يستعمل فى كل مداخلة، ويكفى أن أكرر هنا أنه لابد من استبعاد ما يسمى المرض العقلى العضوى التشريحي لأسباب سالفه الذكر فى الفصلين السابقين، كما أن "الفصام" هو الممثل الأساسى لما يسمى الجنون فى هذه الدراسة دون استبعاد الذهان الأخرى مثل الذهان الوجدانى والذهان البارنوى. [3] - كما أنى سوف أستعمل لفظ الحرية، فى البداية،، استعمالاً فضفاضاً كما يوحى به ما شاع عنه، لا كما قد ننتهى إليه فى هذه الدراسة.

[4] - خالدة سعيد: حركية الإبداع (الشعر وعمليات

الجسد) ص 61، 62 دار العودة 1979 بيروت. [5] - يحيى الرخاوى: "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" دار الغد للثقافة والنشر 1979 - القاهرة.

- أنظر نشرة الإنسان والتطور بتاريخ: 13-7-2008

(زخم الطاقة، والإيقاع الحيوى، واختيار الجنون) وأيضاً ردى على د. رفيق حاتم فى نشرة (حوار/بريد الجمعة) بتاريخ 2008/7/25

تعدد الذوات، فهى الشخص الواحد، ومن ثم يكون اختيار أى ذات منها على حدة هو نوع من الحرية، حتى ولو بدا على حساب الذات (الذوات) الأخرى

إن اختيار الجنون لا يظهر بشكله المباشر والمعترف به، إلا بعد بداية الجنون نفسه

ذلك لا يعنى أن الذى يختار الجنون هو تنظيم واحد فقط من بين المنظومات المتعددة للدماغ وللغرد (من بين الذوات المتعددة)، لأن الجنون حين يُعلن، إنما يؤكد محصلة اختيار الذوات (المنظومات) المتعارضة والمتصارعة والممثلة والمستعيدة بدائيتها والناكسة

إن الذى يُجنن هو الكل المتداخل فى واحد ظاهر، وهو هو الكيان الذى له اسم على بُنادى به، وهو الذى يوصفه بالجنون

إن المجنون الذى يقر باختيار جنونه أثناء العلاج النفسى المكثف (مثلاً)، لا يفعل ذلك إلا بعد أن يطمئن لقدرة جنونه على التحدى

الجنون حين يكسر القشرة ليظل من الداخل إذ يقتحم الوعى الظاهر يجعل الداخل خارجاً أو جزءاً من الخارج

[6] - هنرى إى: الجنون والعالم المعاصر Folie et la monde moderne، قرأت هذه الورقة فى فرنسا سنة 1969 وصورتها وأحضرتها معى ولم أعر عليها أثناء كتابتى هذه الدراسة، ذهب فيها هنرى إى إلى أنه لكى يجن أى إنسان لابد أن يكون هناك أمامه مساحة للحركة، بها قدر من الحرية، ليستطيع أن يختار الجنون، وقد فسر فيها تراجع ظهور الجنون عدداً فى الاتحاد السوفيتى الستالينى بفرط القهر والحرمان المطلق (على ما أذكر).

هنا يمكن إعلان إدراك أن الأمر "كان اختياراً"، وهذا ما يسمى "سبق التوقيت" لبداية الجنون، وهذا بمثابة الاعتراف باختيار سابق، أو هو تأكيد اختيار ما سبق اختياره

ارتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD140919.pdf

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2019 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار السادس)

الشبكة تطفئ شمعتها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاماً من الكدح... 61 عاماً من التواصل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

"نحو لياقة نفسانية أفضل لحياة طيبة"

الصفحة العلمية للدكتور جمال التركي

تسجيل الاشتراك

www.facebook.com/turky.PsyFitness

مؤسسة العلوم النفسية العربية

جائزة " قتيبة شلبي " لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2019

تتشرفه شبكة العلوم النفسية العربية بإطلاق اسم:

" البروفيسور قتيبة شلبي "

(الطب النفساني، العراق / أمريكا)

على جائزتها العام 2019 المنصبة للأعمال العلمية في الطب النفساني

تقديرًا لمسيرته العلمية المميزة

واعترافاً لما قدمه من خدمات جليلة للطب النفساني الشرعي على المستوى العالمي

دعوة لتقديم الترشيحات للجائزة

الترشح للجائزة من بداية من 01 جانفي 2019 الى 30 نوفمبر 2019

شروط الترشح

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2019/APNprize2019.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>